

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أما بعد : قال الإمام ابن القيم رحمته الله (١):

« .. وَهَذَا الْأَصْلُ مِنْ أَهَمِّ الْأُصُولِ وَأَنْفَعِهَا، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ عُمُومُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ فِي مَعَارِفِهِمْ وَعُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ لَمْ يُخْرَجْ أُمَّتُهُ إِلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَإِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَى مَنْ يُبَلِّغُهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ بِهِ، فَلِرِسَالَتِهِ عُمُومَانِ مَحْفُوظَانِ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمَا تَخْصِيصٌ: عُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، وَعُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ؛ فَرِسَالَتُهُ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ عَامَّةٌ، لَا تُخْرَجُ إِلَى سِوَاهَا، وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِإِثْبَاتِ عُمُومِ رَسُولَتِهِ فِي هَذَا وَهَذَا، فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمُكَلِّفِينَ عَنْ رَسُولَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَقِّ الَّذِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ فِي عُلُومِهَا وَأَعْمَالِهَا عَمَّا جَاءَ بِهِ.

وَقَدْ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لِلْأُمَّةِ مِنْهُ عِلْمًا، وَعَلِمَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى آدَابَ التَّخَلِّيِّ وَآدَابَ الْجَمَاعِ وَالنُّوْمِ وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ، وَالسَّفَرِ وَالْإِقَامَةَ ، وَالصَّمْتِ وَالْكَلامِ، وَالْعُزْلَةَ وَالخُلْطَةَ، وَالغِنَى وَالْفَقْرَ وَالصِّحَّةَ وَالْمَرَضَ، وَجَمِيعَ أَحْكَامِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَوَصَفَ لَهُمُ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ وَالنَّارَ وَالْجَنَّةَ

(١) من كتاب: "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (ج ٤/ص ٢٨٤- ٢٨٧) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ حَتَّى كَانَهُ رَأْيِي عَيْنٍ، وَعَرَفَهُمْ مَعْبُودَهُمْ وَإِلَهُهُمْ أَتَمَّ تَعْرِيفٍ حَتَّى كَانَهُمْ يَرُونَهُ وَيُشَاهِدُونَهُ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، وَعَرَفَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَمَا جَرَى لَهُمْ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ مَعَهُمْ حَتَّى كَانَهُمْ كَانُوا بَيْنَهُمْ، وَعَرَفَهُمْ مِنْ طُرُقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دَقِيقًا وَجَلِيلًا مَا لَمْ يَعْرِفَهُ نَبِيٌّ لِأُمَّتِهِ قَبْلَهُ، وَعَرَفَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ فِي الْبَرْزَخِ وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ مَا لَمْ يَعْرِفْ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ عَرَفَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ فِي الْبَرْزَخِ وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ مَا لَمْ يَعْرِفْ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ عَرَفَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أدلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ وَالرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ فِرْقِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ مَا لَيْسَ لِمَنْ عَرَفَهُ حَاجَةٌ مِنْ بَعْدِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِلَى مَنْ يُبَلِّغُهُ آيَاهُ وَيُبَيِّنُهُ وَيُوضِّحُ مِنْهُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ عَرَفَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَائِدِ الْحُرُوبِ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ وَطُرُقِ النَّصْرِ وَالظُّفْرِ مَا لَوْ عِلْمُوهُ وَعَقْلُوهُ وَرِعْوُهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ لَمْ يَقُمْ لَهُمْ عَدُوٌّ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ عَرَفَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَائِدِ إِبْلِيسَ وَطُرُقِهِ الَّتِي يَأْتِيهِمْ مِنْهَا وَمَا يَتَحَرَّزُونَ بِهِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ وَمَا يَدْفَعُونَ بِهِ شَرَّهُ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ عَرَفَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْوَالِ نَفْسِهِمْ وَأَوْصَافِهَا وَدَسَائِسِهَا وَكَمَائِنِهَا مَا لَا حَاجَةَ لَهُمْ مَعَهُ إِلَى سِوَاهُ، وَكَذَلِكَ عَرَفَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُمُورِ مَعَايِشِهِمْ مَا لَوْ عِلْمُوهُ وَعَمَلُوهُ لَأَسْتَقَامَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ أَعْظَمَ اسْتِقَامَةً.

وَبِالْجُمْلَةِ فَجَاءَهُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَرْمَتِهِ، وَلَمْ يُخَوِّجْهُمْ اللَّهُ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، فَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ شَرِيْعَتَهُ الْكَامِلَةَ الَّتِي مَا طَرَقَ الْعَالَمَ شَرِيْعَةٌ أَكْمَلُ مِنْهَا نَاقِصَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى سِيَاسَةٍ خَارِجَةٍ عَنْهَا تُكْمَلُهَا ، أَوْ إِلَى قِيَاسٍ أَوْ حَقِيقَةٍ أَوْ مَعْقُولٍ خَارِجٍ عَنْهَا؟ وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ ظَنَّ أَنَّ بِالنَّاسِ حَاجَةً إِلَى رَسُولٍ آخَرَ بَعْدَهُ ، وَسَبَبُ هَذَا كُلِّهِ خَفَاءُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ وَقَلَّةُ نَصِيْبِهِ مِنَ الْفَهْمِ الَّذِي وَفَّقَ اللَّهُ لَهُ أَصْحَابَ نَبِيِّهِ الَّذِينَ اكْتَفَوْا بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَاسْتَعْنَوْا بِهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَفَتَحُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَالْبِلَادَ، وَقَالُوا: هَذَا عَهْدُ نَبِيِّنَا إِلَيْنَا ، وَهُوَ عَهْدُنَا إِلَيْكُمْ ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه

كمال

الشرعية الإسلامية

من كتاب «إعلام الموقعين»

الإمام أبو بكر الجوزي

(الوفى رجب سنة ٧٥١هـ)

يَمْنَعُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَشْيَةً أَنْ يَشْتَغَلَ النَّاسُ بِهِ
عَنِ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَى اشْتِغَالَ النَّاسِ بِأَرَائِهِمْ وَزَبَدِ أَفْكَارِهِمْ
وَزُبَالَةَ أَذْهَانِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ؟ فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَوْ لَوْ كَفَّهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى
عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَ رَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ
لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

وَ كَيْفَ يَشْفِي مَا فِي الصُّدُورِ كِتَابٌ لَا يَفِي هُوَ وَمَا تُبَيِّنُهُ السُّنَّةُ
بِعَشْرِ مِئَاتِ الشَّرِيعَةِ؟ أَمْ كَيْفَ يَشْفِي مَا فِي الصُّدُورِ كِتَابٌ لَا
يُسْتَفَادُ مِنْهُ الْيَقِينُ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَسَائِلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ
وَ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؟ أَوْ عَامَّتْهَا ظَوَاهِرُ لَفْظِيَّةٍ دَلَّالَتُهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى
انْتِفَاءِ عَشْرَةِ أُمُورٍ لَا يُعْلَمُ انْتِفَاؤُهَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ،
وَيَا لِلَّهِ الْعَجَبُ، كَيْفَ كَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ قَبْلَ وَضْعِ هَذِهِ
الْقَوَائِنِ الَّتِي آتَى اللَّهُ بُيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَقَبْلَ اسْتِخْرَاجِ هَذِهِ
الْأَرَءِ وَالْمَقَائِسِ وَالْأَوْضَاعِ؟ أَهَلْ كَانُوا مُهْتَدِينَ مُكْتَفِينَ
بِالنُّصُوصِ أَمْ كَانُوا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ؟ حَتَّى جَاءَ الْمُتَأَخَّرُونَ
فَكَانُوا أَعْلَمَ مِنْهُمْ وَأَهْدَى وَأَضْبَطَ لِلشَّرِيعَةِ مِنْهُمْ وَأَعْلَمَ بِاللَّهِ
وَ أَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ وَ [مَا] يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ؟ فَوَاللَّهِ لَأَنْ
يَلْقَى اللَّهُ [عَبْدُهُ] بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الْإِشْرَاقَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِهَذَا
الظَّنِّ الْفَاسِدِ وَالْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ.. اهـ

من كتاب/ إعلام الموقعين عن رب العالمين

(ج ٤/ص ٢٨٤ - ٢٨٧) ط. دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ